



عنوان الكتاب: قطار بلا ضجيج

المؤلف: عبدالله الفاعوري

الإيداع الدولي: # - # - 808 - 9923 - 978

التصميم الداخلي والغلاف: دار ابن رشيق للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية

الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

رقم التصنيف

عبدالله الفاعوري

قطار بلا ضجيج، رواية، دار ابن رشيق للنشر والتوزيع، عمان الأردن

ر.إ:

الواصفات://الأدب العربي// الرواية العربية//العصر الحديث.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مؤلفه ولا يعبر هذا التصنيف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز الاقتباس من هذه المادة على سبيل إعادة النشر والطباعة بأي طريقة إلا بإذن خطي من المؤلف والناشر

Ahmadalsmadi26@gmail.comm

00962797782465

قطار بلا ضجيج

عبدالله حسان الفاعوري

2023

إهداء موقر

ازج أعذب الألفاظ وأعظم المصطلحات وأنصع الكلمات
التي بها الحلاوة والطلاوة التي تقدم هذه الرواية هدية
لوالدي الذين أحسنوا تربيتي وقاموا بتنشئتي على الخير
والفضيلة وشحذوا هممي للتفوق في كل مراحل حياتي
وزرعوا في نفسي ثقة عمياء بأن أرى نفسي شخصا فريدا
خادما مميزا لامته، فأتمنى من كل من يقرأ هذه الرواية ان
يدعوا لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

نبذه عن المؤلف

المهندس عبدالله حسان الفاعوري، المولود في مدينة عمان في 13 /7/ 1996، نشأ وترعرع في عين الباشا ابنة السلط، واكمل دراسته الثانوية في مدرسة عين الباشا. ثم درس البكالوريوس في تخصص هندسة الالات الحرارية والهيدروليكية في جامعة البلقاء التطبيقية(البوليتكنك)، وتميز في دراسته بتحقيق الثالث على دفعته، ثم عمل في قطاع المقاولات الانشائي كمهندس ميكانيك موقع.

وتعتبر الكتابة قصة عشق للكاتب عبدالله الفاعوري، بدأت منذ الصغر لتتطور ايام الجامعة، ثم لتكتسب الثناء بعد ان اصبح يحمل عمود دائم للكتابة في كافة الجوانب الاجتماعية والسياسية الوطنية في جريدة الدستور وصحيفة عمون، لتنال مقالاته استحسان الجميع وتشكل خطوات اصلاحية يمكن ترجمتها إلى الواقع وخاصة

في الجوانب التعليمية. يحمل الكاتب عبدالله الفاعوري هم الوطن وتقدم بلده والمضي في مسيرة اصلاحه، كما يعتبر القضايا العربية والاسلامية قضاياها الخاصة، فقط اشار في كتابة الاول الهيام والثقافة إلى اهمية الوحدة العربية والاسلامية، واثار إلى الضياع نتيجة التفرق في الاقطار العربية والاسلامية. كما يعتبر الكاتب عبدالله الفاعوري القضية الفلسطينية قضيته التي لا تنازل عنها فاما ان ينال الشعب الفلسطيني حقوقه وتنعم المقدسات الاسلامية في القدس بخير واما لا راحة ولا استقرار، ويظهر ذلك في روايته الثانية بعنوان قطار بلا ضجيج التي تعتبر نضال كلامي.

Abdallh.alfaouri@yahoo.com

0780896000

مقدمة

يتحدث الكاتب العروبي الفاعوري في روايته هذه عن معاناة الشعب الفلسطيني نتيجة الظلم والاضطهاد الصهيوني الغاشم للشعب الفلسطيني في تاريخ النكبة 1967م التي شهدت على تهجر الشعب الفلسطيني الصامد من قراه وارضه المباركة عنوة، إلى الاقطار الحاضنة المجاورة كالأردن وسوريا ولبنان، والحديث عن التدنيس المستمر لليوم للمسجد الأقصى والمقدسات الاسلامية في القدس من قبل دعاة الصهيونية من لدن ماثيودور هيرتزل إلى يومنا الحاضر. وقد عبر الفاعوري عن ذلك عبر قصة لاجئين اسمه صنوبر الذي غادرت عائلته فلسطين في 67 إلى الاردن لتحتضنهم وتكون لهم خير دفاء وخير نصير لينشؤ ويتزرعوا في بلدهم الثاني، ليكبر صنوبر في خضم ظروف صعبة ليكمل دراسته الجامعية ثم يحب ويخطب أرجوانة لكن ندرة الفرص جعلته يرغب في السفر لبناء مستقبله لكن يتعرض للسجن نتيجة موقفه الثابت

نحو قضيته ليسجن في سجون الاحتلال ظلما وجورا ليصور
الكاتب المعاناة في سجون الاحتلال.

في أوطاننا ومنذ قرن من الزمان ولدنا على نور من
التواصل ومصباح من

التقارب وقلوب متجاذبة وضمائر حيه وانفاسا صالحه
والخير فاعله وللشر

خازله، محبة لا حدود لها فاقة حجم المحيطات
وتجاوزت حدود المجرات

واحتضنت اقمار لامعة ونجوم ساطعة، كما ان التقارب
المجازي يتحقق

بالخيال وبالعواطف كذلك يحتاج إلى تقارب حقيقي مبني
على شبكات نقل

تقرب المسافات وتختصر الأزمنة وتنسج الحكايات
والروايات في الأزقة

والأرياف والمدن الخضراء اليانعة على ضفاف الأنهار
الواسعة، كل ذلك.

يكبر الحب باصنافه وانواعه ويجعل له طعما لا مثيل
له، فالحب الروحي؛ الحب الذي يسبق الزمان والمكان
ويقبع في الوجدان وينشر الأمان أمان الأوطان من امان
الإنسان.

إن هذه المنطقة المباركة اكتسبت الأمان من الاف
الاعوام في كتاب القران، أمان الأقوات والأرزاق
لينعكس ذلك على تلالها وجبالها وبحارها وانهارها
ليظهر في حبها الوجداني الحب العشقي الغزلي العذري
الذي

تجلى في قصص الشعراء لينتقل إلى جميع الاجزاء
فتنعم الارض بالرخاء والسخاء، وحيث ما يحل الرخاء

يعيش الانسان وحيثما يتواجد الانسان بنفسه الامارة
بالسوء ينخرق الخير وتبرز مخالب الشر، وبعملية
عكسية.

يتناقص الخير ويعلو الشر حتى يسود؛ الذي بدوره
يطمس العدل وبالتالي يتلون الحب بالماديات
والدنيويات، يختفي الوفاء ويظهر الجفاء ويطمع الناس
في دنيا الفناء وينقاد الكون إلى السوداء وتنطفئ النجمة
العليا ويعتم الكون وتبكي السماء مما يضحك الارض
وترتفع قيم الانانية، لست أدري!! ما قاد الكون إلى ذلك؟

أجشع الإنسان!. ام جوع الحيوان ! أم اندثار الأمان!
تسائل يورق عيني ويثقل الهم في نفسي ويدمي مقلي
ويضيق صدري، وينشر الاسقام في جسدي امام عجز
الطبيعة عن وصف الاعشاب لي وإنبات الثمار الخيرة

فالأرض جدياء، والأناهار والبحار جافة المشاعر انه
كون يتوشح برداء الأنا نتيجة بعد المسافات وانعدام
الحب .

منذ قرن من الزمن نشأت سكة حديد الحجاز بمشروع
عثماني اسلامي يرمي إلى تقارب البلدان الموحدة
وتعزيز تبادل الثقافات العربية الاسلامية وتسهيل
العبادات والوصول إلى المدينة المنورة مما ينشر الأمن
والأمان ويرفع مستوى هرمون الحب بين البشر ويذيب
الانانية؛ لينشر الاسلام، مشروع يحترم ويعتبر منجزا
اسلامي يقود الكون إلى بر الأمان. يتقارب الانسان
الزماني والمكاني والوجداني، تقارب يعزز قوى الخير
ويرفع الفضيلة، تقارب يقود الأرض إلى الاخضرار
والسما إلى الانهار والغيث

إلى النزول والزرع إلى النمو والحب إلى الصفاء حب
الانسان لآخيه، لجاره، لزوجته، لاهله، لوطنه،
لمجتمعه، لبيته، لآسرتة، لكونه، وهاهي المحبوبة
أرجوانة تخاطب خطيبها صنوبر؛ قائلة اشتاق لك
لرؤيتك للسير معك في هذا الكون الآمن؛ للاك سويآ
من مروجہ والشرب من انهاره وركوب قطاره الذي
ساعدها في رؤية خطيبها الذي يبعد عنها إلى اقصى
الغرب مسافات واميال، ولكن قطار الحب عندما ينشئ
على نية الخير، وحب الغير يجمع الاحباب في كون
الطمئنينة، وها هو خطيبها صنوبر يرد عليها؛ لا اشعر
بالبعد عنكي في اوطان الأمان والخير، ارى صورتك
في كل مكان على اعالي الجبال وعلى جوانب سكة
الحديد وفي قيعان المحيطات، وعلى شواطئ البحر.
نتسائل سويآ!!

هل يراها في كل مكان بسبب الخير السائد؟!

ام بسبب حبه الكبير لها؟!

أم بسبب الطمئينة التي تزرع في النفوس فتجعل
البصر حادا؟!

في رحلة أرجوانة مع صنوبر عبر قطار الحب قطار
الصمت بعيدا عن الضجيج ترسم لنا صورة الكون

الهادئ المفعم بالحب المطرز بالخير يفوح من ارجائه
اريج الايثار وتصدر بحاره وجباله واقطابه وسهوله
وتلاله نشيد الحياة الكريمة التي تقدر القيم والمفاهيم
وتبرز فيها المبادئ التي تتعاضم في النفوس، بفعل الامن
والأمان يصل الانسان إلى اي مكان من دون حدود
وتقسيمات صنعتها قوى الشر الضعيفة، في هذا الكون
الخير يتعاضم ويكبر حب صنوبر لأرجوانة لان قطار

الحب ينقلهم سويا إلى دنيا احلامهم من اجل بناء مستقبل
ابنائهم، كون لا يعرف خبائث الامور والقيم فلا حسد
ولا بغضاء ولا كره، الخير يسود والحب موجود،
مسكونة تشبعت بالحب العذري.

ها هو صنوبر يستقل قطار الحب بعيدا عن الضجيج
مودعا معشوقته أرجوانة من اجل السفر لاكمال دراسته
ليشق طريق احلامه الوردية التي تصنع لهم الحياة التي
لطالما حلم بها مع أرجوانة، كل السبل متاحة لهم
والمستقبل مضاء بمصابيح الدجى امامهم وامام جميع
اقربائهم، حياة كما ارادها الخالق لا إيذاء للآخر جنة
على الارض تخلو من الدسائس والخبائث.

ان قطار الحب يحتاج إلى سكة من الخير والسلام تعبد
له الطريق لنقل الأفراد من موطن لآخر ومن قرية

لأخرى ومن مدينة لمدينة، هذه السكة المصنوعة من حديد مقوى متين تتخلى عن قساوتها لتسهل الطريق أمام العاشقين الذين يستقلون قطار الحب؛ لأنه في كون الخير والعطاء يكون كل شيء يتحلى بالرحماء فالشدة والقوة لا تظهر الا لسبيل تحقيق الخير وفي وجه الأشرار.

وها هي الحشائش تنبت في الاراضي لتطهيرها وإخراجها بأبهى واجمل وانصع الصور، فالكون الموشح بالخير تكون ارضه خضراء وجباله عالية وهواءه عليل وسماءه صافية ورياحه هادئة وقمره وضاء ومجراته براقه وكواكبه مشعة بالطاقة الايجابية التي تنير اجزاء السماء وقطارة يصدر ألعانا عذبة تطرب العاشقين وتزيد محبة المتأخيين وتنشر الخير في كل حين.

ها هو صنوبر الذي يتجهز لمغادرة وطنه تاركا محبوبته أرجوانة يصل إلى موطن غربته بحثا عن طريق احلامه ليرسم حياته التي لطالما حلم أن يعيشها مع مشوقته، حياة ملئها المحبة والعيش الرغيد حياة ملؤها ملاذ آمن ورزق كريم حياة مطرزة بالسفر والترحل للمقارنة بالاخضرار اليناع بين أرياف دولة إلى أخرى وبين عذابة الانهار وجمال رحيق الأزهار، وها هو صنوبر يتجهز لغربته ليبدأ الدراسة بشغف شديد متابعة حثيثة ودراسة رصيدة من اجل اهدافا رغيدة وحياة معطاءة أكيدة، دراسة الماستر صعبة ولكن ليست اصعب من طفولة المعاناة والحرمان طفولة لم يعرف بها طعم الأمان بين تشريدا قسري جراء الاحتلال وعيشا في دول الجوار مع الإخوان مما شكل طفولة هادئة فاترة الحماس متمثلة بحقوق مختلصة، بين

تعلّيمًا ابتدائيًا محدود الفرص في أزقة القرى مكتضة السكون قليلة الخدمات للانتقال بعد تفوق كان ان يقدر له المضاعفة لو توفر حماس الشغف الذي حرم منه الكثير من الاطفال في هذه القرى والأزقة والمخيمات ومنهم صنوبر، فيبدأ بعد اذ بالتعلم الثانوي الذي كان من أبرز محدداته.

الحاجة للعمل أثناء الدراسة من أجل إعالة العائلة التي تعاني من فقر شديد وظروف صعبة محيطة فالعمل من شأنه أن يحدد جودة التعليم بفعل التشتيت ، وها هو صنوبر يخرق التحديات ويصنع المعجزات ومن ضواحي أزقة المخيمات والقرى البائسة يحقق أعلى العلامات في الثانوية العامة ليحدث علامة فارقة أمام هذه التحديات ليشكل مثالا يظرب به الكلام ويخط عبارات على كافة الوسائل الاعلامية تقول : أن الإنسان

فوهة المعجزات مذيبة التحديات خارق الصعوبات
مكون اعظم الانجازات فهو مُكرم الذات اكرمه الله
على كافة المخلوقات .

وها هو صنوبر بعد سنين من دراسة البكالوريوس في
وطنه الذي أحب والذي ترعرع فيه الذي شرب المياه
من أنهاره وخطت اقدمه رماله وترابه وأكل من
خيراته، وتعلم في مدارسه وعمل في اسواقه، وتنقل في
قطاره؛ قطار الحب الذي علمه كيف يحب الخير للجميع
اقرانه واصدقائه، الذي علمه كيف يحن على أطفاله،
الذي علمه كيف يرعى كبار السن والشيوخ، وبعد فترة
مشبعة مستفيضة بذل فيها الغالي والنفيس للبحث عن
عمل يعيله ويعينه على رواية حبه وبناء حياة تجمع هذا

الحب وتخلده، يعود خالي الوفاض في كل مرة وكره،
ولكن حب الخير وقيم الحب الذي زرعه قطار الحب في
مخيلته في كل رحلة وفي كل قرية مر بها وفي كل
شارع عبره جعل منه إنسانا إيجابيا ينظر للكأس المألانة
ويغض الطرف عن الكأس الفارغة، هذا هو ديدن
الإنسان العربي وهذا ما يرضعه من ثدي عروبتة،
الأمل الذي يستمد من موروثه القيمي النابع من أصالته
العربية ودينه الحنيف، الإسلام العظيم الذي يعلمه أن
يعيش حاملا الخير للغير وأن الحياة بلدتها وابتلاءاتها
هي امتحان للفرد والتقدير الكبير في الآخرة، عليها
يعيش وعليها سيموت صنوبر وأقرانه. وبعد تفكير
طويل اختار صنوبر السفر ليرسم المستقبل الذي يحب
مع أرجوانته التي أحبها بصدق ونذر نفسه أن تكون
شريكته لو بذل الغالي والنفيس لذلك، ها هو صنوبر

يستقل قطار الحب ولكن ليس قطار الحب المحلي
الوجهة اليوم خارجية، قطار الحب الخارجي، مظلم
حالك وصوت صدى في جدران هذا القطار يعبر عن
الشوق والحنين للوطن فما ان استقله اذ بدا رنين
الصوت يصدح في أروقة نفسه، ألم الغربة ألم البعد عن
أرجوانة ألم البعد عن أوطانه وخلانه، هذه الآلام لا
يشعر بها إلا من ترعرع على قيم الحب هذه المفاهيم
تحتاج لإطار قيمي لتتحول لمشاعر وأحاسيس تجول في
قرارة نفس الفرد لتزكي حياته.

ان زيتون الأخ الأصغر لصنوبر قال له عندما علم بنيته
للسفر أخي إننا سنبقى نعيش في حل وترحال من مكان
لآخر ما دامت فلسطين والقدس محتلة وكذلك أخي كم
نشعر بمعنى الحب إلا أنه فقد بريقه منذ احتلال القدس،
وتكمن قصة زيتون وصنوبر وعائلتهم بأنهم من

فلسطين الحبيبة، فلسطين الإسلام فلسطين العروبة
فلسطين التاريخ فنتيجة الاحتلال الصهيوني الغاشم لها
اضطروا لترك البلاد في عام 1967م مكرهين غير
مختارين بعد اضطهاد الصهاينة لهم وقتل الآمنين
وترويع الأسر والأطفال والشيوخ والنساء في حرب
وضربات مدافع تدار برادار لا يعرف معنى الإنسانية،
فخرجوا هم وكثير من العائلات الفلسطينية إلى الدول
المجاورة والاردن والشام خاصة تاركين وراءهم مزيجا
من الذكريات العظيمة التي عاشوها سويا وشكلوا
وطرزوا معاني الحب، التي اغتصبت مع سفرهم الذي
كان بكرامة وعزة أنفس فخرجوا مرفوعي الهامات
رافضين بين أملاكهم على أمل العودة للديار المقدسة
في يوم من الأيام، هذا الأمل بالعودة يرتبط بمعاني
الحب عندهم الذي لم يتغير وإنما لازال يكبر عاما بعد

عام حبهم لاطنانهم حبهم لإخوانهم حبهم لزواجاتهم
حبهم الذي ورثوه من الاسلام في قطار الحب القطر
الحديدي العثماني الذي كان مشروعا نثر بذور الحب
في اراضي الشام ليبارك في الحب فيها وفي ارضها
إلى يوم القيامة، ليبقى هذا الارتباط النسجي وليد هذا
العمل إلى يوم الدين .

فعندما وصلوا من هجرتهم للأردن احتضنهم الاردن
وكان لهم وطنا آخر أطعمهم وأسقاهاهم وآواهم، وصهرهم
في بوتقة واحدة ودمجهم مع أبناء الشعب الأردني
ليرتبطوا سويا في اهداف مرسومة المعالم العقلية تهدف
إلى العودة للديار المقدسة ولو بعد حين حلم جعل من
الشعبين الأردني والفلسطيني شعبا واحدا نتيجة حب

واحد مهما تغير الزمان وانجرفت تربته وشحت مياهه
سيبقى ينبع نحو المقدسات التي هي الهوية والرمز الذي
لا ينسلخ عنه ولا بأي ثمن.

واكمل زيتون و صنوبر دراستهم الابتدائية والثانوية ثم
الجامعية التي تخللها الكثير من الفعاليات النضالية
البطولية الثقافية في مدارس لم تعرف إلا صنوف
المعاناة والحرمان وجامعات زادت من عزائمهم صلابة
نحو قضيتهم فطرزوا صنوف الفعاليات الثقافية
الاجتماعية التي تهدف لتوجيه بوصلة الشباب نحو
المقدسات فعاليات واحتفالات وإذاعة مدرسية تصدر
تقديمها صنوبر في كل يوم، وها هو اليوم بعد أن أنهى
مراحله الدراسية كافة ينتقل للسفر لاكمال الدراسة ليشق
طريق حياته الذي رسم ليتزوج أرجوانة وينجب الأبناء

على سنة الانبياء ليكونوا شמוש وضاءة في سبيل
خدمة المقدسات.

إن حياتهم المدرسية يمكن أن نصفها بأنها كانت في
غاية الصعوبة، درسوا في مدارس تعاني من سوء
المرافق، فما بين حر في الصيف وبرد في الشتاء
تعلموا وصابروا وكابدوا في سبيل التعلم، فلم يحيدهم
هذا الحرمان من الطفولة الآمنة والتعليم الفاقد لبريقة في
بيئة تخلوا من مرافق يمارسوا فيها هواياتهم حتى ان
لوح الدراسة كان مشققا مما يدفعهم للوقوف لقدرة
القراءة، لكن الحب الصادق الذي تشربوه شكل لديهم
عزيمة في سبيل هدفهم النبيل ومجاهدة للصعاب التي لا
تكاد تنتهي على أمل العيش في كنف حبهم الذي لامثيل
له، فلا السفر ولا الاختلالات ولا نوائب الدهر قادرة
على تفريقهم وسرقة حبهم وتلوينه ولا الحدود ولا

التقسيمات ولا العنصرية بألوانها التي شكلت سدا منيعا أمام قطار الحب قادرة على اذابة الحب.

إن صنوبر واخيه هما من أصول الضفة الغربية التي كانت على غرب قطار الحب ونتيجة للاضطهاد الصهيوني تهجروا في عام 1967م على أقدامهم هم وعائلتهم هاربين من عدو مضطهد لا يعرف معنى الرحمة يذبح النساء ويقتل الأطفال والشيوخ، تجاوزت بشاعة أعماله الاعتداءات الفرعونية على بني اسرائيل، فعلى اقدمهم قاطعين مئات، بل ألوف الأميال في سبيل الهروب بكرامتهم ونبذهم صور الانقياد متحملين الحر الشديد والبرد القارص، والليل الموحش المظلم المليء بالسباع والضباع. معاناة يصعب التعبير عنها وتصويرها ولو استخدمنا أعذب الصور وأنصع الألفاظ وأطف المعاني، فلو كان الكلام به حلاوة وعليه طلاوة

ولو كان أشرف جوهرًا وأظهر رونقًا لم يستطع وصف حال معاناتهم فهم يحملون صنوف المعاناة النفسية والجسدية والروحية؛ فالنفسية تتمثل بآلام الأبنين للذكريات في أوطانهم ووطنهم الغالي فلسطين من عكة وسواحلها ويافا وحيفا والخليل والقدس والمسجد الأقصى، ذكريات في كل الأزقة وفي كل الشوارع وشهدتها كل مآذن المساجد العالية ورقع النخيل وأشجار الزيتون المثمر. والمعاناة الجسدية تتمثل بصنوف الأذى من استحياء النساء وقتل الرجال ونهب الأموال والأرزاق وتدليس الحقائق والممتلكات وتزوير الأراضي لننتقل أخيرًا إلى المعاناة الروحية وهي أسمى أنواع المعاناة لأنها تعني معاناة شعب الضفة الغربية الروحية التي ترغب العيش في كنف المسجد الأقصى واستنشاق هوائه العليل الذي ليس له مثيل العيش في

الأقصى في وجدان كل مسلم فلا سلام ولا امان
والمسجد الأقصى لا ينعم بغطاء الإسلام ولا يسلم من
التهويد والاعتداءات المتكررة، هذه المعاناة الروحية
تقع في أذان كل مسلم وسيبقى يبذل كل الغالي والنفيس
لينعم باستنشاق ذرات من هواء المسجد الأقصى
والصلاة فيه. صنوبر وأخيه وعائلته ليلة تتلوها ليله
واجهادات تتبعها اجهادات باحثين عن مأوى يقيهم من
الاضطهادات، فمن غربي ضفة النهر إلى شرقه وعلى
جوانب قطار الحب يختفي الضجيج ويظهر صخب
الحياة الطيبة ليزجي هذا القطار قبلات من المحبة إلى
يوم الدين لجميع ساكني الضفتين ليحقق التلاحم
والتعاقد بينهم والوقوف في خندق واحد من العدو
الغاشم لنبذ اعتداءاته المتكررة، فالشعب الاردني شعب
شرق ضفة النهر يحتضن اخوته ويفتح لهم أبوابه

وحدوده وبيوته، مواخاة وتلاحم تذكرنا بمواخاة المهاجرين والأنصار اقتساما للأرض والأموال والأزواج ونصرة الأخ في أحلك الظروف، فالشعب الأردني ينظر لكل من نشأ على ثرى فلسطين بالذهب اللامع الذي لا ينطفئ بريقه إلا حالما يسجد في المسجد الأقصى.

هذه المعاناة التي عاشها ولا زال يعيشها وسيبقى يعيشها الشعب الفلسطيني في المسجد الأقصى وكنافه وجوانبه وقراه واطيافه لن تنتهي إلا بزوال الظلم عن هذا الشعب عن هذه المقدسات في المسجد الأقصى، إن المقدسات هذه يسعون لتهودها وطمس هويتها وتدليس الحقائق لكنها سرعان ما تستصرخ بأعلى الأصوات وتصدق بصوت الحق هذا الصوت الذي يمتزج بدماء أبنائها الذين ترعرعوا في الصغر على هذه الأرض ورضعوا

الكرامة المطرزة بالحق من ثديها وشربوا مائها واكلوا
من ثمارها ها هم يظهرون وقد حفظوا جميل هذه
الأرض فيقدمون انفسهم وارواحهم واحدا تلو الآخر في
سبيل ادامة القضية والبحث عن نصره أرضهم المسلوبة
فهم بكل أطيافهم من تهجروا ومن صمدوا وثبتوا
يعتبرون أنفسهم مشاريع استثمارية في سبيل البحث عن
عودة الحق للمقدسات ونبذ الظلم عنها.

صنوبر يتجهز ليودع معشوقته أرجوانة هذا الوداع
المؤقت وداع السفر للبحث عن سبيل يجمعهما، فكلاهما
عبر الزمن ركبا قطار الحب ليتفعموا بالحب الأزلي
الحب الروحي الذي لا ينفك حتى يجتمعا في بيت واحد
في الدنيا أو الآخرة، هذا الحب الذي لا يتلون بماديات
العصر ولأن الإسلام جعل القوامة للرجل وجعل
المسؤوليات عليه وهو المخول بفتح البيت وطلب يد

الانثى ودفع مهرها، فلذلك توجب السفر على صنوبر، إن هذا السفر يخلص صنوبر من بعض معاناته سالفه الذكر كالفقر والتهجير والظلم والاضطهاد وحرمان الطفولة وطقوسها الكثير، لكن كل هذا في جانب وبعده عن أرجوانة نتيجة السفر في جانب آخر، فهو لا يكاد ان ينتهي من ألم حتى ينغمس في ألم أشد منه كالذي يسير في الصحراء فهو من خشية الإعياء إلى خشية العطش بلا انتهاء.

صدرت ورقة السفر لصنوبر وها هو منهمك بالتفكير كيف به يخبر معشوقته أرجوانة عن تحديد موعد السفر موعد الغربية موعد فراقهم المؤقت للاعداد لمستقبل اللقاء مستقبل يجمعهم، يرفع صنوبر هاتفه المحمول هاتف عليه الصدمات والخدشات يظهر لمن يراه تردي حاله، ليبحث بين الاسماء عن اسم معشوقته ليبرق لها

ويضرب موعدا للقاءها قبل السفر لقاء الوداع، ترد أرجوانة ليخبرها صنوبر المفعم بالحب الخير الصادق حب قطار الحب بانه يرغب لقاءها اليوم في تمام السابعة على ضفة نهر الحب الذي لا يصل إليه إلا من يركب قطار الحب، فمن حب إلى حب تتأرجح حياة الخيرين اهل الحق حب الخير للغير وحب عذري صادق لا يرتجف من الماديات. تنتهي المكالمة وصنوبر حائر لا يحرك بصره عن سقف غرفته يفكر بالطريقة التي سيخبر بها معشوقته عن السفر ويفكر بالحياة القادمة التي ستكون في البعد عن أرجوانة فلا عطرها ولا مبسمها ولا نظرتها، حياة بلا هذا الثالوث ينتج حياة لا تروق.

تدق عقارب الساعة على السابعة لتتخر الالام في جميع عظام صنوبر من شدة معاناة هذه اللحظات التي

سيخبرها عن سفره لرسم مستقبلهم سويا، يصلان في الموعد المحدد لأن كلا منهما ركبا قطار الحب الذي يزرع في صاحبه أفضل الخصال والصفات وخيرها ومنها احترام الوقت والمواعيد، صنوبر يقف أمام أرجوانة وينظر في جبينها الباسم ويلتزم الصمت؛ صمت يحمل عدة معاني منها صمت يعكس ضريبة جمالها الذي اعتاد على التغزل به وسيعتاد على عدم رؤيته نتيجة السفر فهو في شدة من امره لذلك فقد قيل في ذلك : "الصمت في حرم الجمال جمال". وكذلك صمت خيم عليه من تفكيره بالحزن الذي سيصيب أرجوانة وهو لا يطيق أن تظهر بهذه الحالة فهو يخشى عليها من نسيمات الهواء في الايام العاصفة، ويخشى عليها من اشعة الشمس في ايام الصيف الحارة، ويخشى عليها من عتمة الليل عندما يجن، ويخشى عليها من

صوت صفير الطيور في الصباح الباكر، وكذلك يخشى
عليها مما يعكر صفو مزاجها؛ هذا الحب المتشبع من
نسمات الهواء المحيطة بقطار الحب الذي يزرع مفاهيم
الخير في أعماق النفس ويذيب الحقد والكراهية والدنائة
الخلقية بكل مفاهيمها ليصنع صور حب جميلة بمختلف
مكوناتها لتصنع لنا أجمل الصور وأنصعها.

وبعد صمت طويل نزلت دموع كقطرات الندى من
مقاتيه لتهيج ضياء حبه لأرجوانة، تكلم صنوبر يا
أرجوانتي ونتيجة لضيق الحياة في اوطاننا ما بين حرب
وقتل وتشريد وترويع وفقر وحرمان ومعاناة وما بين
حسد

وحقد وغل وما بين انعدام مصادر العيش فلا وظائف
تغنيانا ولا دراسة تنجينا ولا خير يديننا ولا وطن يدارينا

ويحمينا، ظروف اذابت وتذيب الحب يا أرجوانتي الذي
تشبعناه من قطار الحب وتلقي بظلالها على كل الخليقة
لتصنع منهم وحوشا منعدمة القيم متجردة المبادئ،
وأمام هذه الظروف لا استطيع ان اجتمع بك على سنة
الله ورسولة فما لنا حيلة ولا قوة فلا بيت يجمعنا ولا
رزق نعتاش منه، فما لي بد يا أرجوانتي الا السفر وها
قد مضيت قدما في سبيل ذلك وحصلت على جميع
الاوراق القانونية وها انا اليوم اقف امامك لاخبرك بان
موعد سفري بعد يومين من الان، أرجوانتي عليك ان
تصدقني ما اقوله يومان واكون في ديار غير ديارك
يومان وساترك اوطاننا التي تحوي ذكريات

لا تنسَ ففي كل الأزقة والحواري والشوارع، هنالك
مفاتيح لذكريات لا تمحوها نوائب الدهر، إنني الآن فاقد
لكل الأحاسيس والمشاعر لا أعني ما أقول، إن تفكيري
بأن سوف أكون في بلدٍ غير البلد الذي تكونين فيه يسبب
لي صدمة كهربائية، كصدمة الإنعاش التي تدق على
صدر من توقف قلبه، فقلبي يتوقف مع كل لحظة نفس
أتنفسه لأنني أشعر بألم الفراق عنك، لكن حبي لك يا
أرجوانتي مبني على الحب الروحي المكتسب من قطار
الحب، علّمني القوة، على كل الظروف والتحديات
سأصبر على بعدك، وستداريني صورتك التي لن تفارق
مخيلتي، وتؤنسني صورة الذكريات معك التي تخزنت
في ذاكرتي، ويقف إلى جانبي في حياتي الجديدة
المحفوفة بالمخاطر ترديد اسمك، إن الفرد الذي دأب

على اقتناء قطار الحب بالرغم من أنه شخص مليء
المشاعر والأحاسيس والعواطف ويتشبع الخير في كل
صنوفه إلا أنه فرد قوي، فرد يعي ما يدور حوله على
مستوى أوطانه، وعلى مستوى دينه وعلى مستوى
مقدساته، إنسان يتسلح بالحرية المبنية على فراسة
الإسلام التي لا تخشى في الله لومة لائم، هذا صنوبر
يودع أرجوانه في هذه الليلة بكل قوة مذبذباً كل أوجاعه
وعزاه الوحيد ابتغاه تكوين حياة مبنية على الخير
والحق والحلال وكذلك تأكده من لقائه بأرجوانه بعد
بضع سنين، ويا لحلاوة اللقاء بعد الفراق!

حان موعد السفر، يتجه صنوبر نحو المطار بوجهه
الشاحب المليء بالأحزان لفراقه وطنين معاً، لقد فارقت

الابتسامة محياه وخيم الصمت على فاه وانغمس فكره
بالتفكير بحالها عند السفر والرحيل، فعندما وصل
المطار من أجل الالتحاق بالطائرة وإذ به يتفاجأ
بمجموعة من الجهات الأمنية تحيط به، وتسأله عن
اسمه وبعد التأكد تقوم بتقييده، فبعد أن رسم مستقبلاً
بأحلامه يربطه بأرجوانة وخطط للسفر وقام بكل
الإجراءات وإذ بالحلم يتبخر ويتم منعه من السفر والذي
زاد الأمر سوءاً أن يؤخذ مقيداً بالأغلال إلى سجون
الاحتلال من غير معرفة السبب، أحلاماً لا وجود لها
وحياة تتأرجح بين الصعوبات فمن صعوبة السفر
والغربة التي لم يكتب لها الكمال إلى ظلمة السجن
ووحشة الأغلال، معاناة لا تكاد تنتهي والخطوة القادمة
سجون

..الاحتلال المظلمة

من المطار حيث نخلق نحو الأحلام، الأحلام التي لا
تنتهي للأشخاص الشغوفة التي لا تستسلم للصعوبات
والتحديات صغيرة كانت أم كبيرة، ينطلقون نحو لمعالي
مرفوعي الأعناق، عاليي الهمم، يرفعون أكف الدعاء
إلى خالقهم من أجل التوفيق، شعارهم الحب، بالحب
نعانق أحلامنا، بالحب نواجه الصعاب، بالحب نعامل
الغير ونتمنى لهم الخير، صنوبر يظهر جواز سفره
للعاملين بالمطار من أجل الصعود للطائرة للذهاب بكل
حزن مصحوب بالحب ليواجه الغربة والبعد عن
أرجوانة، كاسرًا حزنه بالتطلع لمستقبل يرسمه مع
أرجوانة ينسيه كل آلامه، لكن هيهات هيهات، الظلم
موحش، الظلم مرتعه وخيم، فهو لا ينتهي. مجموعة من
الرجال الملتئمين

يتبعون لجهات خاصة تأتي للمطار لتسرق مستقبل
صنوبر بغير وجه حق، كالذي أفلت حبة القمح من
فم النملة بعد أن قطعت أميالاً في إحضارها، أجبر
هؤلاء الرجال صنوبر

وتطلب منه مرافقتهم من دون إبداء الأسباب والتعريف
بأنفسهم، وإذ

بأحلامه تتبخر كالماء الذي يغلي، وتتساقط كما يتساقط
ورق الشجر في فصل الخريف لينذر بوقف لحن
العصافير الشجي. وبعد فترة

تبين أن هؤلاء هم من قوات الاحتلال ويصطحبون
صنوبر إلى التحقيق من دون أسباب، إن صرامة
ووحشية الاعتقال تكمن بأنها حرمت صنوبر من السفر

وما يزيد الطين بلة أنها بغير أسباب وجيهة ولكن من باب المضايقات، وتضييق الخناق وإضاعة الفرص.

في البداية ذهب إلى موقف عصيون في غرفة عزل لوحده، كانوا

يمارسون أشد أنواع التعذيب وخاصة النفسي (المعنوي) بإرسالهم لصنوبر رسائل مشوشة عن أرجوانة تارة أنها أصيبت إصابة بالغة وأخرى أنها

تزوجت بغيره فقد كانت أشد إيلاما ، لأن هذا الخبر بهذه الظروف التي

تواكب اعتقاله تجعل مثل هذه الإشاعات كوابل الرماح التي تمطر على المقاتلين فتشق أجسادهم، فما أعظم الرمح الذي يتجاوز الجسد ليصيب القلب بمقتل العاطفة، وفي الصباح جاءت سيارة مغلقة بالكامل، قاموا بتقييده

وربطه إلى سجن عسقلان، وخلعوا كل ملابسه وألبسوه ثياب الأسر، وطلبوا منه الانتظار وبقي بالزنزانة يومًا كاملًا أعزلا بدون ماء وطعام، وكانت الزنزانة ضيقة ولا تحتوي غير سرير معدني ببطانية واحدة ولا تكاد تحميه من رفاس حديد السرير، بدأت الحيرة تصيب صنوبر في ليلته الأولى بالمهجع بين ذكريات مع عائلته ومعشوقته أرجوانة وافتقادهم في الظلام الحالك، والصمت الحذر المشفق الذي يخيم على هذه الزنزانة،

وفي الصباح أُحضر له الفطور الذي كان يفتقر لأبسط المحتويات فالخبز

اليابس القديم الذي لا يتجاوز الرغيف وحبنتين من الزيتون الجاف الذي طال عليه الأمد، وبعد الانتهاء من وجبة الفطور نقل صنوبر إلى غرفة بيضاء لا يوجد

فيها إلا كرسي وجلس فيها لسبع ساعات مقيدًا بالأغلال، لا يستطيع التحرك فقط عليه أن يتأمل هذه الجدران البيضاء في حرب نفسية لإخضاعه وتسهيل التحقيق معه، وأي تحقيق ذلك !

لشباب نشأ على السلام، لا يؤدي أحدًا، حتى أن النمل الذي يتحرك في الصباح للبحث عن الطعام كان يثني على أخلاقه، والعصافير التي ترقزق منذ طلوع الصباح أشادت بإنسانيته، وكذلك الديك الذي يصيح في كل فجر أثنى عليه، كان يلاطف الجميع ينشر المحبة في كل حين يصدر الابتسامة على كل نفس يقابلها، أين العدل أن يُعتقل ويُحرم من السفر لأجل جده؟ !

ثم أُحضرت له وجبة الغداء بعد المرحلة الأولى للتعذيب، ولا تختلف وجبة الغداء عن سابقتها وجبة

الإفطار من حيث السوء فالغداء عبارة عن حساء مطهو بمياه عادمة، وكذلك القليل من الأرز وملعقة مهشمة تجرح شفاه من يأكل بها حتى يختلط دمه بمرقة الحساء، يا لها من وحشية موهلة تمارسها سجون الاحتلال في التعذيب! وبعد الانتهاء من

مرحلة الغداء، ننتقل إلى مرحلة التعذيب الأخرى والتي تتمثل بوضع صنوبر في غرفة ضيقة 2م * 2م ولا يوجد فيها أي نافذة ولا إنارة فقط كرسي وضع بها صنوبر مقيدا بالأغلال لا يرى بهذه الغرفة المظلمة إلا النور القادم من أسفل الباب وتستمر هذه المرحلة لثلاث ساعات، يكون فيها السجين قد صدع عقله وتهشمت مخيلته بأنياب الظلام الداكن ويخرج من هذه المرحلة

التعذيبية القدرة كالذي يتخبطه الشيطان من المس، لا تركيز ولا استجابة ثم يعاد إلى زنزانتة ويلقى على الأرض ويكون لا يوجد فيه حيل ليقف على كئنا قدميه، إن بشاعة هذه المراحل على الرغم من خلوها من الضرب في أنها تصيب الشخص بالاضطراب النفسي والهلوسة وفقدان القدرة على الوقوف إضافة للطعام رديء الجودة الذي لا يسد الحاجة، وفي صبيحة اليوم اللاحق يوقظ صنوبر في السادسة صباحا بأشع الطرق تلقى المياة الباردة عليه ليستيقظ مذعورا خائفا مرتجفا ثم ينقل إلى غرفة التعذيب التي فيها

يتعرض للضرب المبرح بالسياط حتى ينزل الدم من كتفيه ثم يلقي عليه

الملح ليبدأ بالصراخ بصوت ذا تردد عال يكاد يهز
أركان السجن ويشقق

زجاجه، ويُتْرَك يصرخ لسويغات من الزمن بلا رحمة
ولا رأفة، قلوب

وحشية يحملها من يعملون في سجون الاحتلال، صنوبر
الآن محطم منك، تتوالى عليه صدمات الحياة فمن
ضياح السفر إلى ظلمة السجن إلى وحشية العذاب وكلها
هينة بسيطة أمام بعده عن أرجوانة فأخذ يردد قول
الشاعر:

جربت من نار الهوى ما تنطفي
وتكل عما تحرق..
نار الغظى

وبعد هذه المرحلة الوحشية ينتقل لمرحلة وحشية أخرى بأن يضع رأسه لربع ساعة في برميل من المياه ثم يلقى على الأرض يستجمع أنفاسه كسمكة أُخرجت من بحرها إلى اليابس لدقائق ثم أعيدت، ويستمر على ذلك لساعتين من الزمن .

هذه المراحل التعذيبية الوحشية تستهدف تجهيز المعتقل للتحقيق، حيث يستمر المعتقل يمر في هذه المراحل لشهر من الزمان ثم

ينتقل لغرفة التحقيق، فبعد شهر من التعذيب ينتقل صنوبر لغرفة التعذيب التي أشبه بالقبر من الظلام والسواد الذي يملأها إضافة إلى أصوات

الحيوانات المفترسة التي تصدر في جنباتها لا ندري هل هو تسجيل صوتي أم أن هنالك حيوانات مفترسة حقيقية؟

ويوجد فيها أريكة فاخرة ومكتب

يجلس السجين على الأريكة في غرفة تحتوي الأثاث الفاخر ذو الطراز الرفيع، وتكون هذه الغرفة معتمة بلا إنارة فقط هنالك مصباح فوق الأريكة والآخر فوق المكتب، بعد نصف ساعة من الانتظار في هذه الغرفة، يظن

السجين بأنه سيقابل شخصية رفيعة للتحقيق معه، يدخل الغرفة ضابط

وسيم نحيف ذو طول مرتفع يحمل شخصية كارزمية فريدة لا تكاد تجدها سوى في الأفلام البوليسية، يجلس

على الكرسي خلف المكتب يحدق النظر في السجين (صنوبر) لدقائق، ثم يطلب منه التعريف بنفسه، فما يكون من السجين أمام هذه النظرات الثاقبة للرجل الوسيم إلا أن يتلعثم عند التعريف بنفسه، وحالما ينتهي يقول له الضابط الوسيم، يا حمار! أعد التعريف بنفسك ولا تتلعثم، ليستسلم صنوبر ويعيد التعريف مرة أخرى وحالما يفرغ يخاطب الضابط الوسيم الأريكة وكأنه شخص، ويسألها هل سمعته وهو يعرف بنفسه؟

ثم ينتقل للحديث مع صنوبر: يا غبي! أعد التعريف بنفسك بصوت مرتفع حتى تُسمع الأريكة التي تجلس عليها، ليستسلم ويعيد التعريف بنفسه للمرة الثالثة، ثم يقول له: ما هي تهمتك؟ ليقول صنوبر: لا أدري فهو لم يرتكب أي جريمة يستحق السجن والعقاب عليها وكان بعيدا عن السياسة، ليعود الضابط ويقول: وعم تكذب

علي كمان، شو تهمتك؟ ليصمت صنوبر لبرهة من الزمن حيران من كيفية التعامل مع هذا السؤال، ثم يقول له لست أدري إنني لم أرتكب ذنبا وأظن أن سبب أسري هو يعود لفدائية جدي وأنه كان مقاتلا مع الفدائية، يقوم الضابط الوسيم ويقول بكل انبهار: أمان ربي أمان..

وكمان بتتوقع على كيفك وبتحيك الأسباب؟ وأخذ يسأله: ليش بدك تسافر يا فدائي؟؟ قال له صنوبر وقد امتلأت الثقة بحياه أريد أن أبحث عن مصدر رزق لأكمل حياتي وأبلغ طموحاتي وأحلامي وأتزوج بمن أحب، فقد سلبتم منا أرضنا بغير حق وقتلتم الأبرياء والشيوخ والأطفال والنساء وشردتم الملايين وضيقتم علينا أرزاقنا في دول لجوئنا بالشروط المجحفة التي تحاك علينا وتظنون أنكم بهذه المكائد الدنيئة ستهزمون

صمودنا ورباطنا وهويتنا وهوية مقدساتنا؟ والله إن
ظنونكم لسراب يحسبه الظمان ماء ثم

ينحسر، فستبقى أرواحنا ومهجنا ودمائنا وأموالنا
وأولادنا فداء لقضيتنا الإسلامية ولمقدساتنا الإسلامية
العطرة، والله إنكم لتظنون أن شر أعمالكم ستقودكم إلى
ما تصبون إليه لكن ولات حين مناص إن كل فرد فينا
لم يشرب من النهر حتى الارتواء كما في قصة طالوت
إنما اغترف غرفة تقوده للحنين إلى هذه الأرض
وليحفظ هذه الأرض والمقدسات في وجدانه،

فكما أنه يصعب أن تخطئ النجوم أفلاكها والكواكب
مساراتها ومداراتها

فنحن لن ننسى طريق مقدساتنا، فمن رضع الكرامة
والعزة والتضحية في

سبيل المقدسات من أداء الأمهات لن ينسى قضيته. لقد
أفحم صنوبر هذا

الضابط الوسيم بإجابة ترتعش أمامها الأبدان كما يصيب
البدن البرد

القارس في أيام المربعانية، هذه الإجابة جعلت الضابط
الوسيم يصاب بالذهول من قوة هذا الشعب الذي أمام كل
هذا الاضطهاد يبقى صامدًا في سبيل مقدساته، فيلتزم
الضابط الوسيم الصمت لمدة دقيقتين من الزمن، ثم
يغادر غرفة التحقيق الخاصة منهزما أمام هذا الصمود
النفسي لصنوبر الذي أظهره برغم كل هذه الحرب
النفسية وسبل التعذيب التي واجهها في هذا المعتقل، ثم
بعد بضع دقائق يدخل رجلان ممتلئان شاحبا الوجوه لهم
عيون محدقة عابسة فيأخذوا بصنوبر إلى غرفة سرية،

هذه الغرفة تسمى غرفة التعذيب الاستثنائي، وفيها يتعرض المعتقل إلى أشد أنواع التعذيب

الجسدي بشاعة، يوجد في الغرفة عصا كهربائية وبرميل ماء وسياط

للضرب المبرح إضافة إلى خشبة منخلة بالمسامير معلقة على أحد جدران الغرفة وما يزيد هذه المرحلة التعذيبية حدة إلى أن الغرفة صغيرة جدا لا تكاد تتجاوز مساحة 4.5 متر مربع، يضعه الرجلان على الكرسي الخشبي -الذي يشبه كراسي قهوة أبو حاتم في المسلسل الدرامي باب الحارة- من يرى هذا الكرسي يظن أن بانتظاره سماع صوت عال -قادم من أبو حاتم: يا مسلم! شوفنا هالشب الحلو شو بده يشرب- ليأتي مسلم ويحضر له كأس شاي زجاجية يرى منها ورقة النعناع

الفواحة والنجيلة التفاحتين التي تريح البال، ولكن وا أسفاه! إن هذا الكرسي بالرغم بما يرتبط به من تفاصيل جميلة إلا أنه يحمل مصيرا موعلا ينتظر صنوبر من صنوف تعذيب مختلفة، فبعد أن يوضع ويقيد بالأغلال وإذا برجلين ينقلان بئر الماء أمام وجه صنوبر، ثم يبدأ بالتعذيب بالضرب بالعصا الكهربائية ليمسه بتماس كهربائي ليصدر صوتا عاليا يخرج الطيور من أعشاشها ظنا منه أن أحدهم يقطع الشجرة ويعلن النفير للفئران من جورها خشية القطط المفترسة، وبعد ذلك يضعون رأسه بالماء لمدة دقيقتين فما بين الكهرباء

والماء ارتعشت مشاعر صنوبر وتمزقت ولكن لم تتمزق صورة الأقصى من وجدانه، ثم بعد تكرار هذا النوع من التعذيب، ينتقلون إلى مرحلة أخرى تتمثل برفعه ورميه على الجدار المليء بالمسامير ليتشقق

ظهره وتنزف الدماء ولا يخلو ذلك من الصراخ الذي يوقظ الموتى من قبورهم لشدته وتعاد العملية لمرات متكررة وكأن صرخته في كل مرة تقول يا أيها الخالد في قبرك قم وانقذني فقد عجز الأحياء عن إنقاذي، معاناة شعرها صنوبر صابرا ثابتا على الحق متماسكا، عزائه بأن الحق لا بد له أن ينتصر ولو بعد حين، يستمد طاقته وبصيرته من إيمانه العميق بالله النابت من شهادة أن لا إله إلا الله كلمة لا يبذل الإنسان فيها إلا تحريك عضلة اللسان، لكن لهما وقع كبير في الدارين الدنيا والآخرة فهي مصباح الخير الذي يميز المسلم عن غيره في الدنيا وهي وسيلة دخول الجنة، إن كل من يقولها مؤمن بها خالصة لله ولو انغمس في ملذات الدنيا وشهواتها وزاغ عن الحق

تكون له شفيعة يوم القيامة، أن لا إله إلا الله للفرد بمثابة الجرس الذي ينذر الطلبة في المدرسة بانتهاء الاستراحة ولزوم العودة لطلب العلم وهي بمثابة الماء لن يمكث بالصحراء مع اشتداد الحر، وهي بمثابة النجوم التي يهتدي بها البشر في ظلمات البر والبحر، وهي بمثابة الأشهر الحرم للحيوانات التي تتقذهم من الصيد وهي بمثابة الماء للسماك وهي بمثابة الروح للجسد،

فيا لحظ المؤمن بها وبكل من داوم على تردادها، صنوبر يستمر بترديدها فهي درع تعينه على تحمل صنوف العذاب غير المبرر في هذا المعتقل .

ها هو صنوبر يسرح بالتفكير قليلا في هدوء يخيم على معتقله وإذ

بذاكرته تربطه ارتباطا روحيا بأرجوانته وبالأحلام التي
رسموها معا في بيت الزوجية المستقبلي، بناء الأسرة
الإسلامية هي غايتهم، يواجهون الصعاب والعقبات
ونواب الدهر سعيا لإقامة بيت الزوجية المنتظر لا
يكثرثون للغلاء ولا للوباء يستعدون للتضحية بالسعادة
وتحمل الغربة في سبيل بناء الأسرة المنشودة، كيف
لا؟! وهم شباب واع في هذه الأمة يعرفون أن دورهم
المناطق لهم في سبيل خدمة الأمة هو المشاركة في حماية
بنية المجتمع ببناء الأسرة وإنجاب الأطفال وإحسان
تنشئتهم على كل فضيلة

عسى أن يكونوا جزءًا من مشروع إسلامي مستقبلا
يقود لعزة هذه الأمة .

ودحر الظلم الغاشم الصهيوني الذي يستهدف الإسلام
وأهله ومقدساته، إن الغرب اليوم يسعى جاهدًا طامعًا
في تمزيق نقاط قوة الأمة والمتمثلة بالأسرة؛ لأن
ضرب الأسرة هي طعنة في خاصرة المجتمع وبالتالي
يصيب الأمة بالمقتل، إننا اليوم نعاين قوانين وضعية
تستهدف تماسك الأسر بإعطاء الحريات لأفراد الأسرة
وأطفالها دون مراعاة تكوينهم وجاهلهم، وبالتالي تفسح
المجال لضیاع فلذات أكبادنا، لكن هیهات هیهات ما دام
في أمتنا أمثال صنوبر وأرجوانة سيبقى الخير في أمتنا
هذا الشباب الواعي الذي يعي

أهمية الزواج والإنجاب وتكوين الأسر. صنوبر يستمر
بالتفكير العميق،

التفكير بإيجابية بالحياة ويقول بذهنه لعل ما أمر به
اليوم من أسر بغير سبب هو ابتلاء من الله لي؛ على
ذنبٍ اقترفته، وهو كفارة لي بإذن الله. هذا الإيمان الذي
يقع في قلب صنوبر هو رسالة ودرس لكل فرد في
أمتنا.

أيها القراء، فكما جاء بأحاديث النبي بأن المرء يُبتلى
على قدر دينه،

فعلينا التسليم المطلق لله بكل الأحوال والصبر على كل
الظروف فهي خير والله بكل الأحوال لأهل الإيمان .

صنوبر ومع عمق التفكير يخذ للنوم بكل سلامٍ وتصالح
مع النفس راضيًا بالحال، منتظرًا ما سيأتي بكل ابتهال
وسرور.

وعزاهه أننا لله وأننا إليه راجعون. وأنتك إن كنت مع الله
لا تبالي في أي
شيء.

وفي الصِّباح التالي يستيقظُ صنوبر بكلِّ نشاطٍ وحيوية
ناسيًا الآلام والصعوبات، متسلحًا بفراصة المؤمن القويِّ،
ولرداءة المعتقل المتوقعة يتيمم، ولا يجدُ ماءً للوضوء
ثم يصلي صلاة الفجر، هذه الصلاة التي سنتها خير من
الدنيا وما فيها كما جاء في حديث النبي -صلى الله عليه
وسلم- ليستمدَّ فوق الطاقة طاقة وفوق الصبر صبرا، ثم
أخذ يتلو مما يحفظ من القرآن؛ -لعدم وجود المصاحف

في المعتقل- إن معتقلات الاحتلال الوحشية تبين لك أهمية حفظ القرآن لتلاوته في هذه المعتقلات التي لا يرى فيها الأسير إلا الظلام وصنوف التعذيب المتنوعة، ففي هذه الوحشية يحتاج الإنسان إلى غذاء لروحه بآيات من القرآن، ومع قدوم الصباح جاء رجلٌ يحملُ فطورًا رديئًا إلى صنوبر يتمثلُ بنصف رغيف من الخبز اليابس والقليل من الزيتون، لكنهم لا يعلمون معنى الزيتون لنا !

إن الزيتون هو وقود مُشعلِ الهمم في النفوس، فهو مذكور في القرآن وهو رمز الأرض والثبات على الحق وعدم التنازل عن أي شبر من أراضي فلسطين، يظنون أن بتقديمهم الطعام القليل يهزمون الأسرى لكن لا يفهمون لغة الرموز ولا يعلمون أن كل شيء على هذه

الخليقة يُسبِّحُ الله ويحملُ الخير ويميلُ للحق وأصحابه،
فشجرة الزيتون منذ الأزل رمز للمقاومة .

وبعد هذا الفطور المتواضع يأتي

رجل ملثما ممتلئ الجسم عريض الأكتاف خشن
الصوت، وبدون سبب

ومقدمات ينهال بالضرب على صنوبر بكل صنوف
التعذيب اليدوي ويستمر

حتى تنزفَ الدماء من فمه وأنفه، ليتركه ينزف لوقت
طويل بلا رأفة ولا رحمة، فلا يلحق صنوبر أن يلتقط
أنفاسه إلا ويعودُ هذا الرجل وينهال عليه بالضرب مرة
أخرى حتى ينزف ثم يتركه، وفي هذه الأثناء في
الخارج كانت الأمور مشتتة، صفارات الإنذار تدوي
في تل أبيب وكل مناطق الاحتلال، المقاومة ترشقُ تل

أبيب بمجموعةٍ من الصواريخ اعتراضًا على
الاعتداءات الصهيونية في المسجد الأقصى وترويع
المصلين ومضايقتهم

أثناء الصلاة والعبادة، تصرفات وحشية صهيونية
بالاعتداء على الأمنين بدون أسباب ومن غير حسيب أو
رقيب، وإطلاق العنان لوحشيتهم وليس هنالك أي جهة
أو منظمة تدعوهم بالإرهابيين، على النقيض عند رد
المقاومة على

أي اعتداءٍ صهيوني يدين الجميع أعمالهم ويصفهم
بالإرهابيين الذين

يقوضون مساعي السلام، قانون دوليٍّ ازدواجي لا
يراعي العدل، ويشجع من ينبذ الخير ومن يعتدي وينشر
الكراهية ومن يصدر الضجيج في جميع الأقطار

والأركان في هذه المعمورة، وأثناء هذه الاعتداءات الخارجية يشدد الاحتلال الخناق على المساجين ويرفعون من وتيرة التعذيب كنوع من الانتقام على هذه الاعتداءات، حيث أن التعذيب يصبح أكثر ظلما وقسوة أثناء هذه الاعتداءات، يضعون المساجين في غرفة متوسطة الحجم مع كلب مفترس لينهش لحمهم بكل وحشية فلا يستطيع السجين إلا الصراخ والدفاع بكلتا قدميه الضعيفتين أمام تكبير الأيدي، صرخات تتعالى من السجون على بغي التعذيب لترتفع تردد الموجات الصاروخية لأبناء المقاومة ليذكوا مناطق الاحتلال انتقاما، وكان أصوات المساجين أصبحت وقودًا يُشعل فتيل

القذائف الصاروخية، فأهل الخير نبتوا على بذرة الخير، بذرة الحب، بذرة لا إله إلا الله فإن هذه البذرة

هي من تزرع في نفس الفرد منذ ولادته حتى جبروته
أثناء فتوته وقوته أثناء شبابه وحكمته حال مشيبيه الخير
والنفع لما فيه المصلحة السليمة، فها هو صنوبر ينزف
الدماء من نهشات الكلب المستمرة ليحول قطرات الدماء
إلى أمواج ترددية عالية تخاطب المقاومة لترفع من
عزائمهم، فالمساجين في سجون الاحتلال مقيدون
مسجونون في الواقع

الوهمي الذي ينبذ الخير ونوامس الكون، وأحرار في
الخيال وفرسان

ومقاتلون بخيريتهم التي تتوافق مع قوانين الكون، فهم
الأحرار في أعين

السماء وكل الأحرار على الأرض مساجين في أعين
السماء، لأن من لا يسجن في أرض الظلم والجور
والقمع وإراقة الدماء ونبذ نوامس الكون

الإلهية التي تبرزها الخيرية هم مشاركون في هذا
الضجيج الكوني.

وبعد نهش الكلاب يبقى صنوبر ينزف فاقداً للوعي من
شدة الآلام، ثم وبعد برهة من الزمن يؤخذ إلى زنزانته
ويُلقي في أرضيتها بهذه الوضعية ويُترك بضع ساعات،
لا أنيس له إلا دماءه والجوع يغلغل في أركان نفسه
والأكبال تقيد يديه، فما له حيلة سوى النوم.

وبعد سويغات من الزمن يأتي حارس الزنزانة ليلقي
الماء البارد عليه ليستيقظ فزعا كالذي كان يحلم بالنعيم

واستقيظ وإذ هو بالجحيم، ويحمل الحارس الطعام الرديء الذي لا يكفي لسد جوع الشبع فكيف بمن يتعرض لكل هذا الأذى الجسدي والنفسي؟!!

وحشية في التعذيب تُجرد هذه السجون وإدارتها من الإنسانية، إن صور العذاب التي تُحاك للأسرى تفوق طرق تعذيب الحيوانات لبعضها لا رحمة ولا شفقة، فوالله إن كلاب سجون الاحتلال لتلقى معاملة تفوق بحسنها الكثير مما يتعرض له أسرى السجون.

وبعد هذه المرحلة نتجهز لمرحلة تعذيب أخرى وخطوة أخرى تنتظر صنوبر وكل المساجين، تأتي الزنزارة المتنقلة زنزارة الموت على مدخل السجن؛ لتأخذ جميع المساجين في العزل الانفرادي إلى المحاكمة، وعن أي محاكمة نتحدث! إنها محاكمة صورية لكن النتيجة

مؤكدة، سيلحق الظلم بهم لأنهم سجنوا بغير سبب، فمنهم من سُجن لأنه يدافع عن أرضه وآخر يدافع عن عرضه وآخر لأنه نادى بحقوقه وآخر لأن له قريب كان فدائي، تهم مستهلكة تنبذها نواميس الكون فهم أصحاب الأرض وأصحاب الشجر، وأصحاب الخير، فالرياح تستميلهم والمياه تغيثهم والأشجار تخضر في حضورهم والظلام يستنير بظلمهم، لكن من يسيطر ويبسط النفوذ يمكر، أجزم أن مكره لن يطول، سيظلم هؤلاء المساجين وستسلب حقوقهم، فلا بد لحق الله أن يصدح ولو بعد حين، تنقل الزنزانة المتنقلة المساجين مكبلي الأيدي التي تربطهم حقيقة وليتولى حمل أمر قضيتهم في توحيدهم قلبيا، فهو

عزائهم للصبر على الظلم لأنهم يؤمنون بأن نصر الله محقق ولكن في وقته، يصلون المحكمة لتسلط وسائل الإعلام القدرة الصورة إليهم

وتتهمهم بالتخريب وتصورهم بالمخربين، ليدخلوا للمحكمة ويحاكموا محاكمة اسمية، ليحكم عليهم بالسجن لمدة طويلة وذنبيهم أنهم أصحاب قضية، دافعوا عن حقوقهم وأرضهم وعرضهم ومقدساتهم.

ثم ينقلون إلى سجن جلبوع، صنوبر يذهب للمحاكمة بعد رحلة طويلة من العذاب الجسدي والنفسي أفسدت حلاوة الحياة في قلبه المليء بالحب، المفعم بالهيام والاشتياق، الذي ينبض الحب دفقا، وينشر الخير سخيا، ويحمل ابتسامة في محياه اعتادت على بث التفاؤل في قلب كل من يعرفه ويسلم عليه.

كم هي موعلة بالظلم سجون الاحتلال؟! تطفئ بريق
الخير في النفس وتثني الهامات وتبث التقاعس
والاهتزاز الداخلي للفرد، وتذيب جبال الهمم الجليدية
في النفس وتطفئ نار الهوى التي أزكتها وأشعلتها دقات
قلوب العاشقين. إن العناكب التي اعتادت أن تنصب
بيتها في كل مكان وفي زوايا الأركان، شق عليها إقامة
بيتها في جدران سجون الاحتلال.

كما أن العصافير التي دأبت أن تزقزق في كل صباح
لتبث الأمل في النفوس، عجزت عن ذلك بالقرب من
شرفات سجون الاحتلال، والديك الذي اعتاد على
الصياح في الصباح نذر للرحمن صوما عن ذلك
بالقرب من سجون الاحتلال، والنملة المسالمة التي
تضرب لنا المثل في النشاط والهمم، ها قد تكاسلت عن

القيام بعملها بالقرب من سجون الاحتلال خشية من وحشيتهم كخشيتها من التحطم من سليمان وجنوده.

إن هذه الطبيعة بثمارها وأشجارها وحجارتها وحيواناتها وطيورها، تعلن رفضها هذه السجون وتمقت وحشيتها على بني البشر أبناء الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص والشعوب العربية الإسلامية على وجه العموم.

صنوبر يركب سيارة نقل المساجين مكبلا بالأغلال مغشيا عليه من شدة التعذيب وقلة الغذاء، والدماء التي تسيل من فمه ووجهه وكل أجزاء جسده، يا للعار!، كيف يصح محاكمة شخص بحجة إطلاق العدل عليه؟! وهو قد نال منه الأذى قبل إدانته والحكم عليه! تحت أي الأعراف والقوانين يندرج هذا التناقض وهذه

المحاكمة؟! محاكمة بعد تعذيب! وأيم الله إنه استخفاف
بالقانون الدولي والمجتمعات والشعوب كافة، فلا حسيب
ولا رقيب، يفعلون ما يحلو ويطيب لهم ولو على حساب
كل القوانين والأعراف .

يصل صنوبر للمحاكمة، وهذه المحاكمة الثانية التي
ستفصل بأمره، فإما السجن وإما الحرية؛ وأي حرية؟
العودة إلى أوطان ممزقة متشرذمة متفرقة قويا يأكل
الضعيف وصغيرها لا يحترم الكبير وغنيها لا ينفق
على الفقير والحسد ينتشر بين أبنائها وانتشار الوباء.

والله لو تدارسنا التاريخ صفحة صفحة، ورقة ورقة،
وكلمة كلمة، وجملة جملة، لن نقف على ملة إسلام في
سالف الزمان وصلت إلى هذا الحال الذي نحن عليه،
ندعي حرية خارج السجن، والأحرار هم من يقيدون

في السجون لأنهم تكلموا كلمة الحق بالرغم من قلة زادهم وعتادهم، والله بالرغم من تناولنا ثلاث وجبات في اليوم وشرب الماء وكل أنواع المشروبات، إلا أننا عجزنا عنها حرية ملوثة الطعام فقدت طعمها ولونها.

القاضي يعاين قضية صنوبر في محاكمته الثانية، والتي لا يعلم صنوبر الآن وبعد هذا التعذيب وهذه المحاكمات عن سبب سجنه؟!!

من على رصيف المطار عندما كان مقبلا على حلمه بكل جوارحه، مقبلا على مستقبل يجمعه بخطيبته أرجوانة، لكن هيهات هيهات ولات حين مناص، احتلال غاشم أحفاد القردة والخنازير يفسدون الأحلام على الأحرار الشرفاء. إن ما يثير الغرابة في هذه القضية أن صنوبر لا يعلم حتى هذه اللحظة عن سبب أسره

ومحاكمته غير أن جده كان في جيش الفدائية والتي هي ليست بغريبة على أبناء الشعبين: الأردني والفلسطيني، وبعد نظرة ثاقبة للقاضي في ملف صنوبر يتبين أن سبب أسر صنوبر هو مجموعة من الأبيات الشعرية التي ألقاها في أحد المناسبات والتي احتوت على أبيات سياسية تقدح بهذا الكيان الغاشم للشاعر العراقي مظفر النواب والتي تقول:

"يا رب

كفرت بإسرائيل

هذا الوهم الملتف على الأعناق

إذا قررنا يوماً

سوف يزول

يا رب كفرت بإسرائيل

الموت الموت.. لإسرائيل

الموت الموت.. لإسرائيل."

كلمات خارجة من أعماق القلب عبر حناجر حرة،
كانت سبب لسجن صنوبر. نعم، إن الأحرار يتمسكون
في قضيتهم في حلهم وترحالهم في أفراحهم وأتراحهم،
في حياتهم المدنية في حبهم وكرههم فالمشاعر تتأجج
عند ذكر قضايا الأمة وتصبح أبلغ في التعبير، ها هو
صنوبر يواجه ضريبة دفاعه عن قضيته ووطنه
ومقدساته بالأسر وضياع أحلامه، السجن لخمس
سنوات تعني الكثير فهي كفيلة في تدمير مستقبله؛ لأن
عمره سيضيع بين جدران السجن، ووقته سينصرف

دون جمع المال المنشود بالسفر سيتأخر بالزواج من
خطيبته أرجوانة كل هذه التضحية في سبيل القضية.

اليوم الأول بالسجن:

صنوبر يستيقظ وقد قطع التفكير تركيزه أصبح شاردا
الذهن، فاقد الحيلة، منصرف البال، مثقل الهم، مشبعا
بالشوق لحبيبة قلبه أرجوانة التي لن يستطيع رؤيتها
لخمس سنوات متتالية، لأنها لا تستطيع السفر إلى دولة
الكيان الغاشم لعدم امتلاكها التأشيرة، ويا لهول الموقف؛
أمن ضياع المستقبل والأحلام ذلك؟! أم من فقد خطيبته
وعدم رؤيتها؟!!

أم من وحشة السجن وظلمته؟!!

لست أدري .

لا يستطيع صنوبر في اليوم الأول تناول الفطور من
شدة الصدمة، لا يملك سوى الاستلقاء على السرير

والتحديق في سقف الزنزانة البيضاء المليئة ببيوت
العناكب، تمر الساعات الأولى من اليوم الأول في فترة
الحكم ببطء و صنوبر على حاله لساعات، يأتي إليه
شخص من السجن مشفقا عليه طويل القامة أبيض
البشرة شاحب الوجه أخضر العينين، ينكره على يده
ويقول له: هدى من روعك أخي، ليشكره صنوبر بكل
بساطة فيسأل صنوبر: كم مدة حكمك؟ وما السبب؟
ليجيب صنوبر وقد خيم اليأس على ربايعته خمس
سنوات بفعل بعض الكلمات الملقاة في إحدى المناسبات
أمام المئات، ليقول له هذا الشخص الذي يدعى حيدر:
هنيئا لك أنا مسجون مؤبد لا شيء يستحق أن يشغل
بالك، ليشفق صنوبر على حكمه ويسأله عن السبب
ليجيب حيدر لأنني قتلت أحد جنود الاحتلال الذي أراد
الاعتداء على زوجتي في أحد الشوارع، الدفاع عن

النفس بحق أحفاد القردة والخنازير يعتبر جرماً، ما هذا الظلم! وما هذه الازدواجية في القرارات! صنوبر مستنكراً، لقد كان الحديث مع حيدر شاحداً لهمة صنوبر معيداً إليه الحياة، كم نحتاج في حياتنا إلى أشخاص يتحلون بالصدق في مشاعرهم تجاهنا وتجاه الآمناء وأحلامنا، يقفون إلى جانبنا في كل المواقف مشكلين حاجزاً بصدق إخلاصهم لنا أمام شلال المصائب اليومية، مما يضعفها ويوقفها عن هزيمتنا .

لقد كانت هذه المحادثة البسيطة سبباً في استعادة صنوبر لقوته، وقام بعدها وتوضاً وصلى ركعتين شكراً لله تعالى، ثم أمسك بكتاب الله وقرأ آيات من القرآن لتكون بداية الإنطلاق الجديدة في وجه حكمه الظالم، ما يميز الفرد المسلم إخوتي أن بين يديه كتاب عظيم ذلك القرآن الكريم، مزيل الهموم مفرج الكرب شاحذ الهمم

عدة وعتاد المسلم في هذه الحياة الفانية، فما أن يقف المسلم على حافة السقوط انهزاما من هذه الحياة البسيطة الفاتنة إلا وتدفعه بصيرة الله إلى القمة بآيات كتابه فهي سلاح الفرد في هذه المكورة .

يعود صنوبر مفعما بالنشاط كما عهدناه وكأنه يرى بكاتا مقلتيه خطيبته أرجوانة ويسمع صوتها مع كل لحظة في هذا السجن المظلم لتشكل له درعا يعينه على كبح جماح الظلم الذي يحدق به من كل جانب وبكل الحواس، يعزم صنوبر على تدارس الكتب في هذا السجن القاتم متأسيا بأمثال العلماء كابن تيمية وغيرهم ممن تعرضوا للسجن وكان السجن سببا لإخراج نماذج علمية خدمة الأمة.

الأسبوع الأول في السجن

تنقضي الساعات والدقائق تتلوها اللحظات و صنوبر
يتخذ كل دقيقة في هذا السجن المظلم رصاصة في وجه
شبح حكمه الظالم، فكل دقيقة معلومة جديدة لمن يجعل
القراءة عادته اليومية، في هذا الأسبوع وأمام إرادة
صنوبر الحديدية يجتاز قراءة عشرات الكتب بين
المتوسط والكبير، لقد أنهى قراءة كتاب الطريق إلى
القرآن، وكتاب التحفيز القوي الذي يخرج أقصى ما
لديك من قدرات مدفونة، كتاب أيقظ قواك الخفية،
وكذلك قطع ستمائة صفحة في كتاب البداية والنهاية
لابن كثير إضافة إلى الكثير من كتب التاريخ الأموي
والعباسي والمغولي والعثماني؛ ليصنع من نفسه فردا
مثقفا يمثل مزيجا من ثقافة إسلامية ضليعة بالتاريخ
والسياسة إيمانا منه بأن التاريخ زاد للحاضر والأيام
تعيد نفسها مع اختلاف الأزمنة والأشخاص، لقد كان

صنوبر يشرب القهوة كثيرًا في وقت مطالعته ولقد كان بصيرًا محبا بصدق، يرى ملامح خطيبته بكل صفحة من أي كتاب يقرأه، فقد هام بمحبوبتين، تتمثلان بوطن يدق قلبه حيننا لرؤيته حرًا ورؤيته سالمًا محررًا من القردة والخنازير وتنعم به المقدرات بالحرية المطلقة، وخطيبته أرجوانة التي يشتاق لها كثيرا كثيرا.

لقد كان صنوبر في هذه الأوقات يتسلح بنظام ترتيب وقتي ساهم في ما حققه من إنجاز من قراءة هذه الكتب، حيث كان يستيقظ على وقت الفجر ليصلي أفضل صلاة في اليوم في وقتها فهي من تمنح البركة في الرزق والمال والجسم والصحة، ثم يبدأ بالقراءة في عتمات الفجر في هذا السجن المظلم يستند فقط إلى إشعال بعض الأوراق التي يختزنها بشعلة علبة كبريت كان يأخذها من المطبخ، وحالما تنطفئ الورقة بدقائق يشعل الأخرى

كانت هذه المعاناة تشكل له رونقا في القراءة فقد كان يبحر بين ثنيات الكتب في كلمات مدوية رنانة كانت تشكل بصيرة له مع ضوء فتيلة الوريقات الخافت "فمن طلب العلا سهر الليال " ومن أراد المعالي لا يقف في طريقه عتمة الليل ولا صعوبات الحياة ولا نوائب الدهر، إنما يعتبرها وقودا يشعله لتشكل له بصيرة في طريق نجاحه وطريق أحلامه.

بالإضافة إلى حصيلته الثقافية كان صنوبر لا يغفل عن قراءة كتب تخصص الهندسة حتى يعزز معلوماته الأكاديمية ولكي لا ينساها ويتسنى له بعد قضاء حكمه الظالم أن يكمل مخطته بدراسة الماجستير والعمل، فالإنسان الناجح الفريد الذي يقاتل على عدة جبهات جبهته الأكاديمية التي يتخذ منها طريقه في طلب الرزق وجبهة فكرية يعزز من أفكاره ويقولب نفسه في نسيج

فكرية يستهدف خدمة أمته ووطنه ومقدساته، فكل منا على ثغر من ثغور الإسلام كما قال نبينا الكريم في حديثه الشريف. فالإنسان الجلمود يخترق بعزيمته وعزة نفسه كل الصعوبات ويجعل دوما من نفسه عضوا صالحا ومصالحا في وطنه ولا تقف في طريقه عقبة السجن أو الأسر أو الفقر.

الشهر الأول في السجن:

وبعد انقضاء الشهر الأول من هذا الحكم الظالم، صنوبر يمضي حياته الروتينية المعهودة التي لا تجدد فيها بالمطالعة والبحث المستفيض الذي حرره من قيود السجن إلى عوالم وجدها بين دفات الكتاب، هذه العوالم التي أقامت الفتوحات والعدل مما انعكس ذلك على مخيلة صنوبر وعزيمته بظهور ليل الحق، وبالجانب العاطفي لقد اشتدت أوامر شوق صنوبر لخطيبته ومحبوبته، لقد فاض نهر شوقه لأرجوانة على ضفاف شواطئ الأمل، شوق الخطيب الحاني على خطيبته الذي يخشى عليها من ظلام الليل وشدة الريح واشتداد الشمس بالصيف والزمهرير بالشتاء، كانت ومضات الشوق التي تمس صنوبر بين الفترة والأخرى تعكر صفو

مزاجه وتعيق مقدار إنجازهِ اليومي بالمطالعة، ويا لوجع الشوق الذي لا علاج له إلا باللقاء المستحيل!

في هذه الفترة كان الوضع خارج السجن مشتتلا، كالعادة يتبع كل عمل إجرامي عدواني أعمال بطولية تخذ في التاريخ، ومع نجاح الحكومة الصهيونية الغاشمة المتطرفة دينين ها هي بدأت بممارسة كل صنوف التطرف الذي لا يقبل حلا عادلا ومسالما للقضية الفلسطينية، طقوس يلوحون بالقيام بها في المسجد الأقصى دون حسيب أو رقيب، وهذه المرة وعلى غير العادة يقتحم وزير صهيوني المسجد الأقصى تحت حراسة أمنية مشددة ويمنع المصلين من أداء عبادتهم، مما أحدث انفجار وتوتر بالمنطقة تحركات أردنية دبلوماسية بحكم الوصاية لتهدئة الأوضاع.

وعلى إثر هذا الاقتحام تحركت فصائل المقاومة بإطلاق رشقات صاروخية على تل أبيب لتلقي الذعر والخوف في نفوس أحفاد القردة والخنازير، فمن داخل السجن سمع صنوبر والمساجين أصوات صفارات الإنذار تدوي في تل أبيب فأُتلجت صدورهم فكان هذا الصوت كصوت موسيقى الجاز تعزف في إحدى مطاعم برج إيفل المطل على نهر السين في عاصمة الرومنسية باريس. أخذ صنوبر وحيدر ورفاقهم بالتكبير بصوت عالٍ من قلب السجن، لقد كان هذا اليوم يوم فتوحات وانتصارات لهم انتصر الحق على الظلم ولو لسويغات ولحظات، إن الغريق يتعلق بقشة وكذلك صنوبر ورفاقه لقد كانت هذه اللحظات لهم بمثابة عطر الحق الذي يفوح على رائحة الظلم القاتم ويزيلها ويزيئها.

وبعد دقائق يدخل مأمور السجن ومعه مجموعة من الجنود، يقيدون أحد الشبان ويدخلونه إلى السجن بالقوة، ويقولون: ادخل يا مخرب، ليقومون بضربه ضربا مبرحا حتى سالت الدماء من جميع أطرافه، والجميع عاجزون مكتوفي الأيدي لا يملكون له من قمطير، فمن يتدخل بهكذا موقف يكون له مصير مشابه من الضرب بالإضافة إلى الحبس الانفرادي لأسبوع، وبعد ذلك ينصرف المأمور والجنود، وجميع من في السجن يهرع إلى السجن الجديد، ليوثقون رباطة جأشه ويخففون عليه ألمه، فيضمدون جراحه ويسقونه الماء وينتظرونه أن يرتاح، هنا في سجون الاحتلال تجد صور المحبة بين المساجين تفوق الأخوة لأن مساجين المبدأ والقضية يتحلون بالقيم في كل تعاملاتهم فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال بينهم تراهم جميعا مغموسون في الشوق لعائلاتهم
كشوقهم لمستقبل مشرق حر لوطنهم ولمقدساتهم.

بعد راحة السجين الجديد، يسأله حيدر وهو الذي دأب
واعتماد على التعرف على المساجين الجدد، حيدر يقول
له: ما اسمك؟ ليحبيب اسمي جعفر، ليسأله عن سبب
السجن، يجيب أنه كان ممن انتفضوا في وجه العدوان
الغاشم الأخير على قرية جنين، في وجه الاعتداء على
قرية جنين اعتداء جباناً سافراً لا يراعي طفلاً ولا شيخاً
ولا امرأة، فذنبه أنه طعن جندياً وجده يعتدي على كبير
سن بالضرب المبرح، هذه جملة أسباب محاكمات
أسرى سجون الاحتلال، دفاعهم عن أرض أو عرض
أو دم أو مال، لكن عندما يكون ازدواجيات في
القرارات الدولية يشيع الظلم بالأرض وإذا شاع الظلم

على أرض، فما لك إلا أن تعاین ضوء العدل والحق
الساطع يخرج من شقوق الكهوف المظلمة .

ليلة ولا ألف ليلة.

بعد انقضاء نصف مدة حكمه يتجه صنوبر في إحدى الليالي الهادئة المنعشة الباسمة، في فصل الربيع وقد خلد للنوم، نوم بعد يوم حافل بالإنجازات الذاتية الدورية من المطالعة للكتب النيرة الثقافية الإسلامية التاريخية التي غدّت فراسته وصنعت منه شخصا جلمودا متينا، وبعد صلاة العشاء ختم يومه الحافل بقراءة ما تيسر من كتاب الله، الذي يشعل الهمة والبصيرة ويذيب نتوءات الهم العالقة في الأذهان، ثم توجه لفراشه وهو مطمئن لينام بكل راحة وسكينة ويدخل في أحلامه، وإذ به يحلم بهذه الليلة بأحلام مفعمة بالأمل والطمأنينة تبتث في النفس الاستشراف بمستقبل مرجو، حلم وكان جميع الدول العربية والإسلامية توحدت وأزيلت كل العراقيل التي تعيق هذه الوحدة، فلا حدود ولا لهجات ولا

اتفاقيات مسمومة تحول دون هذه الوحدة، وحدة أعادت إلى الأذهان عز الإسلام والمسلمين في كنف الدولة الأموية والعباسية والعثمانية، وما رافقها من رفعة لراية الإسلام واتساع رقعة دولة الإسلام، وما رافقها من تقدم عمراني واجتماعي واقتصادي مالي. وما يزيد حلمه جمالا أن هذه الوحدة العربية الإسلامية المنشودة قد أزلت دولة الكيان الغاشم واجتثتها من عروقها وطردت الغاشمين من أرضنا المباركة ومن مقدساتنا، ليجروا أذيال الفشل ولينثروا التراب خلف خيولهم المهزومة الهاربة، لتتعم المنطقة بالسلام المعهود تحت كنف الإسلام ورايته، ليستيقظ وقد طلع الفجر مفعما بالراحة والفرح بهذا الحلم ليصلي ركعتي الفجر ويدعو الله أن يتحول هذا الحلم لحقيقة.

إن تحول هذا الحلم لحقيقة، ليس بالأمر الصعب إنما نحن نصعبه علينا، بالتقاعس والتكاسل عن دورنا المناط، وبانحرافنا عن الهدف إلى دنيا الهوى والملذات، إن هذا الحلم الذي جال في خيال صنوبر وهو نائم لهو حلم يراود أذهان كل فرد عربي مسلم حر شريف، وإنه ليتطلب التغيير منا فما أصابنا من الذل والهوان والضعف والانصياع للشهوات، يتطلب منا جهاد نفس نرمي به أنفسنا الأمرة بالسوء بمجانيق الصلاح والسلام، مجانيق الكرامة والعزة والغيرة على هذا الدين، فكل فرد في المجتمع العربي الإسلامي لهو خيط في نسيج النصر المنشود يقدم ما يستطيع من موقع عمله ومن بيته ومن منطقتة وفي أسرته وفي نفسه، فأول خطوات التغيير هو تغيير الفرد لنفسه من تهذيبها

وترك بعض السلوكيات السلبية واستبدالها بإيجابية
تضفي الخير على أمتة.

الظلم مرتعه وخيم، والظلم موجع يا صنوبر لكن هنيئاً
لك بنصر الله لأن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين
العباد محرماً كما جاء في الحديث القدسي للذبي -صلى
الله عليه وسلم-، وهنيئاً لك يا صنوبر ويا جميع أسرى
سجون الاحتلال لأنكم أبطال تحملتم قيود الظلم وأكباله
في سبيل رفض المعتدي الغاشم ورفض الانقياد له
ولمخططاته. تحملتم ضجيج الظلم ولهيب الشوق وبرد
الشتاء وحر الصيف ولدغة عقارب الساعة ببعدمكم عن
أحبابكم فلحظة لبعث صنوبر عن خطيبته أرجوانة كانت
بالوجع كمن تبتر قدمه من دون تخدير، لكن الله غالب
على أمره وبهمة الشرفاء سينتصر الحق ويعود السلام
على أرض السلام ولو بعد حين.